المحاضرة العاشرة:
إيقاع اللغة

تعدّ اللغة أكثر المناطق خصوبة لممارسة الفعل الإيقاعي، وذلك بما تمتلكه من عناصر من شأنها خلق دينامية إيقاعية قادرة على إثراء البنية الجمالية للنص الشعري، فاللغة تسهم بألفاظها وتراكيبها في تحقيق الانسجام والتناغم، ولاسيما أنها نظام من الكلمات لا يغفل الشاعر ما تعكسه من فاعلّية تحّرك الأحاسيس، لذلك يعمد إلى اختيار الكلمات في تشكيل العبارات بصفة تدعم حركة الإيقاع وتنمي نشاطها في الإبداع الشعري، ولاسيّما أنّها في اختيارها يتّضح اتجاه الإيقاع في النص. ولقد قام الشاعر العربي منذ القديمة باستغلال هذه الإمكانية الموسيقية في تحقيق امتيازات إيقاعية أخرى من شأنها تأجيج الفاعلية للجمالية للنص الشعر العربي.

التشكيل الإيقاعي للغة في الشعر العربي المعاصر:

بناء على خفوت الأثر الموسيقي للوزن والقافية في بنية القصيدة المعاصرة، كان لجوء الشاعر العربي المعاصر إلى محاولة استغلال الإمكانات اللغوية بشكل أكبر ممّا من شأنه استعادة النّفس الإيقاعي للقصيدة الشعرية المعاصرة. ولعلّ أهم الوحدات الإيقاعية الّتي اتّكأ عليها الشاعر المعاصر من أجل تحقيق هذا الإنجاز على مستوى الإيقاع اللغوي هي:

أولا- التكرار:

تعد تقنية(التكرار) من التقنيات البارزة التي استخدمها الشاعر المعاصر في سبيل تحقيق تطلعاته الشعرية، وذلك من حيث قدرته على التعبير عن الخلجات الشعورية من جهة، وإضفاء مسحة إيقاعية على القصيدة. فالتكرار هو بمثابة موسيقى تحّرك القصيدة من خلال العلاقات التي تتكّون بين الكلمات والأصوات، إذ "عندما يشّكل الشاعر كلماته فهو يستغّل الخصائص الأخرى لها، إلى جانب الخصائص الإشارية، فهو يولي قدرة تلك الكلمات على التناسق اهتماما ليخلق جملا إيقاعية وايحاءات سمعية في ارتباطها بكلمات أخرى، ويستغل في السبيل إلى ذلك التكرار"[1] في جميع صياغاته وأنواعه.

☒ **أنواع التكرار:** يتحقق التكرار عبر عدة مظاهر:

1-**تكرار الحرف:** وهو تكرار حروف بعينها في الكلام، مما يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف ابعادا تكشف عن حالة الشاعر النفسية. ويمكن التمثيل لهذا النوع بهذا المقطع الشعر للشاعر عبد المالك بومنجل من ديوانه (لك القلب أيّتها السنبلة[2]:

كنا نكابد جرحنا
كنا كأفراخ الحطيئة بعدما
هجر الأحبة بيتنا
كنا نسير على الملامح خيرة...

2-**تكرار اللفظة:** وهو تكرار يعيد اللفظة الواردة في الكلام لإغناء دلالة الألفاظ، وإكسابها قوة تأثيرية. وهذا النوع من التكرار كثير في الشعر الحديث، وللتدليل على فاعلية هذا التكرار نأخذ مقطعت شعريا لنزار قباني[3]:

خبئني في خلجان يديك.. فإن الريح شماليّهْ

---

[1] - راوية يحياوي، شعر أدونيس، البنية والدلالة، دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008ص .299

[2] - عبد الملك بومنجل، لك القلب أيتها السنبلة، دار الأمل، تيزي وزو ، ص14 و15.

[3] - قباني،نزار- الأعمال الشعريةالكاملة،ج1/ ص668.

خبئني.. في أصدافِ البحر/وفي الأعشابِ المائيّهْ
خبئني.. في يدك اليمنى
خبئني في يدك اليسرى/ لن أطلب منك الحريّهْ

3-**تكرار العبارة أو الجملة:** وهو تكرار يعكس الأهمية الّتي يوليها المتكلم لمضمون تلك الجمل المكررة باعتبارها مفتاحا لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم إضافة الى ما تحققه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه. وللتمثيل لهذا النوع من التكرار نأخذ هذا المقطع الشعري لعبد العزيز المقالح:

صباح جديدٌ/ وأغنيةٌ تتسكعُ خلف الشبابيك تبحثُ عن غيمةٍ، أو سحابهْ
صباحٌ جديدٌ.. وأغنيةٌ تنحدر عبر سماءٍ من الحلمِ/ تغسلُ أرواحنا/ وتذيب ثلوج الكآبة
صباحٌ جديدٌ/ وشمسٌ من الحبِّ دافئةٌ/ كالنبيذ المعتق في صدر خابيةٍ تشتكي للزمان شبابه

4- **تكرار المقطع**: ويقصد به أن يكرر الشاعر مقطعاً شعرياً في القصيدة تكراراً فنياً مؤثراً، يسهم في تنغيم القصيدة، وتكثيف دلالاتها، وإيحاءاتها الفنية؛ حيث "يوفر تكرار المقطع لبنية القصيدة فرصة كبيرة لتحقيق تأثير مباشر على اعتبار أن المقطع أطول أجزاء النص الشعري. وحين ينبع تكرار المقطع من صميم التجربة الشعرية فإن هذا يكفل للتكرار أهمية خاصة تسهم في إغناء التجربة الشعرية دلالياً وإيقاعياً معاً"[4]. وهذا النوع من التكرار قليل في الشعر العربي الحديث، ويمكن التمثيل لذلك بهذا النصّ من قصيدة(ضباب على بوصلة القلب) لخالد أبو خالد[5]:

لا نشتري قدساً ملفقةً بقدسك / نشتري شمساً لشمسك../ لا نصادر في المكان / ولا نصادر في الزمان/ ولن يصادرنا سماسرة الدخان..
سنوات تجمعنا الرسائل والقبائل
جمعينا في الحرائق.. كي نقومْ
وفي سوادك كي نضيء..
جمعينا في المعدَّس والغيوم..
لا نشتري قدساً ملفقةً بقدسكِ / نشتري شمساً لشمسكِ / لا نصادر في الزمان/ ولن يصادرنا سماسرة الدخان

ثالث ثانيا: التدوير

1- مفهومه: يعد التدوير أحد أهمّ عناصر البناء الموسيقي للشعر العربي المعاصر، ويختلف التدوير في شعر التفعيلة عنه في الشعر الخليلي من حيث إنّه إذا كان التدوير في الشعر الخليلي يقوم على أساس كسر كلمة بين الشطرين، فإنّ التدوير في شعر التفعيلة يقوم على كسر التفعيلة بين السطرين.

2- أنماط التدوير: يمكن حصر أكثر أنماط التدوير انتشاراً في القصيدة العربية الحديثة فيما يأتي:

أ- التدوير الجملي:

يقوم التدوير الجملي على تدوير الجملة الشعرية الكاملة بحيث ينتهي التدوير بنهاية الجملة ليبدأ تدوير آخر مع بداية الجملة الشعرية اللاحقة وينتهي بنهايتها. ومثاله هذا النصّ من قصيدة "يخلع العصر أثوابه" للشاعر خليل الخوري[6]:

---

[4] - خلود ترمانيني، الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث،،2004، ص121.
[5] - خالد أبو خالد، العوديسا الفلسطينية(الأفعال الشعرية)، بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، فلسطين، 2008-ج3، ص131.
[6]- اعتراف في حضرة البحر، دار الشؤون الثقافية والنشر، 1983، بغداد: 103-105.

ها هنا.. جائعاً، بارداً فاحتمي/ ببقايا الدماء/ إنّها الساعة الواحده/ ساعة البرج تعلنها/ أنت مرهقة، فارقدي، واحلمي/

بالعصافير، والدفء، والشبع/ هذا مخاض عسير عسير/ تؤرخه المدن الصامده

ب- التدوير المقطعي:

يتحدد التدوير المقطعي بهيمنة تقنية التدوير على مقطع من القصيدة بحيث تنشغل به انشغالاً كلياً وبذلك فإن القصيدة المقطعية في الشعر العربي المعاصر قد يأتي أحد مقاطعها مدوراً تدويراً كاملاً، أو مقطعان أو ثلاثة وهكذا[7].ومثاله قصيدة "البصرة" لعبد الوهاب البياتي[8]:

كانت، كعادة، أهلها البسطاء/ تجترح البطولة والفداء/

تستقطر التاريخ معجزة/ وشارات انتصار/ وبوجهها العربي/ في كل العصور/-مدينة الشعراء والعلماء-

ج-التدوير الكلي:

ويقوم النظام التدويري في هذا النمط على إشغال القصيدة بأكملها، بحيث تبدو القصيدة وكأنها جملة واحدة. ويمكن التمثيل لهذا النمط بهذا المقطع الشعري:

قبل النوم، أرى البولفار نديا أحمر، أسمع / في المطر العجلات، وأسألني: هل أشنق/
فأراً؟ أم أتوسل عبر الثقب وأنفض / عن ثوب الجص المتساقط؟ يومياً أتوغل /
في الدهليز وأسمع دورة مفتاح في غرفتها / وأدير برأسي مشروعاً: هل أسألها /
عوداً من علبة ثقاب؟ لكني حين أعدت / العلبة أمس أجابتني متحصنة بالباب /
الموصل،/ (دعها عندك/ قد تحتاج إليها)

ثالثا: التوازي الصرفي:

التوازي هو عبارة عن تناظر وتماثل وتقابل بين وحدات الخطاب الشعري، الصوتية والتركيبة ، فهو شكّل "من أشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول والنغمة والتكوين النحوي، بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواقع متقابلة في الخطاب"[9]. وقد تداول النقد العربي مصطلح التوازي بعدّة مصطلحات هي الترصيع والازدواج والمقابلة والتسهيم والموازنة الّتي يطلق عليها بالتوازي الصرفي، ويُقصد بمصطلح الموازنة التساوي بين الكلمات صرفيًا. يقول ابن الأثير في الموازنة" وهي أن تكون ألفاظُ الفواصل من الكلام المنثور متساويةً في الوزن"[10].

ويمكن أنّ نمثّل لهذا النسق الايقاعي بهذا المقطع الشعري من قصيدة "تغريبة القوافل" للشاعر الثبيتي في يقول فيها: يا وارد الماء عِلّ المطايا

وصُبّ لنا وطنًا في عيون الصبايا
فما زال في الغيب منتجعٌ للشقاء

---

[7]- يظهر هذا النمط التدويري كثيراً في شعر البياتي ونازك وبلند وسعدي وأمل دنقل وحميد سعيد وغيرهم.

[8]- ديوان بستان عائشة، ص: 64 و65.

[9] - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، سلسلة عالم المعرفة، يصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م، ص198.

[10] - ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، مج 01، ص 291.

وفي الريح من تعب الرّاحلين بقايا[11].

في هذا النص، نجد الموازنة بين (المطايا، الصبايا، بقايا)، ويجب على المتلقي عدم إغفال هذا التوازن صرفيًا. فالمطية هي الراحلة، وهنا نجد الشاعر في رحلة غربةٍ لا يعرف مصيرها ولا منتهاها. يريد الاستقرار، وذلك بتزيين منظر الوطن عند صبّهِ في عيون الصبايا الجميلات، ومع ذلك؛ فإن الغريب ما زال يحنّ للرحلة، فهناك بقايا من تعب السفر.

الوقفة الإيقاعية:

الوقفة الإيقاعية هي "الوقفة الشاعرية الّتي يقفها الشاعر في استراحة تطول أو تقصر لالتقاط الانفاس وللتخفيف من حدة التدفق العاطفي الذى يحدثه عالم الرؤيا"[12].

وقد أخذت الوقفة في الشعر العربي المعاصر خصائص ومفاهيم جديدة مما يجعلها وصفاً دقيقاً لنهاية السطر أكثر دقة من القافية الذي استطاع الشعر المعاصر التحرر من خلاله من سطوة الوزن وسلطان القافية.

وهكذا أعطت الوقفة للشاعر حرّية إيقاعية تمنحه القدرة على تحقيق تلوينات صوتية ودلالية على مستوى نصوصه الشعرية. ويمكن التمثيل لذلك بهذا المقطع الشعري:

يَعتدُون عليَّ ويرمُونني بالحصى والكلامِ يرِيدونني أَن أَموت لكي يمدحُوني وهم أَوصدُوا باب بيتك دوني وهم طردوني من الحقلِ هم سمَّمُوا عنبي يا أَبي وهم حطَّمُوا لُعبي يا أَبي	يَعتدُون عليَّ ويرمُونني بالحصى والكلامِ يرِيدونني أَن أَموت لكي يمدحُوني وهم أَوصدُوا باب بيتك دوني وهم طردوني من الحقلِ هم سمَّمُوا عنبي يا أَبي وهم حطَّمُوا لُعبي يا أَبي	يَعتدُون عليَّ ويرمُونني بالحصى والكلامِ يرِيدونني أَن أَموت لكي يمدحُوني وهم أَوصدُوا باب بيتك دوني وهم طردوني من الحقلِ هم سمَّمُوا عنبي يا أَبي وهم حطَّمُوا لُعبي يا أَبي

[11] - محمد الثبيتي، ديوان شعر(الأعمال الكاملة)، نادي حائل الأدبي، حائل، السعودية، ط1، 2009م، ص105.

[12] - أحمد الطريسي، الرؤيا والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب، ص75.